75-960931

الفارابي عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية . تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد الرابع - العدد الثالث ١٣٩٥ - ١٩٧٥

الفـــارابي والمدينـة الفاضلة

بقلـــم
سهيل قاشا

حلم الفارابي كغيره من الفلاسفة المتفائلـين فتخيل امكان تحقيق فكرة المدينة السعيدة ، كما تخيل افلاطون امكان ايجاد جمهوريته المثاليـة وفردوسها الارضي وحياتها المثالية الكاملة ، على ان تقوم الدولة بتقويم شرائعها وقوانينها على اسس من العدالة والحكمة ، لتهب كل ذي حق حقه .

ومن الواضح بان الفارابي قد جسد في كتابه المدينة الفاضلة تجاربه الحياتية وتفاعلاته النفسية والاجتماعية فجاء تعبيرا صحيحا عن خلاصة مذهبه في الوجود والحياة . وصورة مصغرة عن نظرياته في العقول الابداعية وصدورها عن المبدع وعلاقـة الموجودات بعضها ببعض ، والفيـض ، والنفس والارادة ، والاختيـار ، والسـعادة ، والوحـي ، والمنامات ، وتاثير القوة المتخيلة ... الخ .

ولم ينسَ الفارابي بأن يعرف المدينة الفاضلة بقوله : « ان المدينة الفاضلة ، هي المدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الاشياء التي تنال بهـا السعادة الحقيقية » (١) . بعد ان قام بدراسـة تركيب ونفسية الانسان وفطرته الاجتماعية ونظام الهيئة البشرية ، وما عليها لتسعد في هذه الدنيـا وتنال المثال الاعلى الثابت في ذروة الكمال . وشدد على ضرورة تعاون الافراد وتكاتفهم لنيل السعادة ، نظرا لحاجة الفرد ، الملحة الى بني بجدته . ولولا تعاون الافراد في حقولهم ومجالاتهم الاجتماعية . لما كثرت الجماعات ، ولا عمرت الارض (٢) .

ويذهب الفارابي الى القول بان اقواما اعتقدوا بان الاجتماع الانساني انما نشأ عن القهر ، لان القاهر حسب زعمهم يحتاج الى مؤازرين ، فيقهرهم ويسخرهم ، ثم يقهر بهم اقواما اخرين . فيستعبدهم ايضا لمنافعه واهوائه . وهنالك قـوم راوا ان الاشتراك في الولادة من والد واحد هو سـبب(٣) الارتباط ، وان الاجتماع والائتلاف لا يكونان الا به ، فاذا تباينت الاراء حصل التنافر ، واذا تقاربـت حصل الاشتراك والتعاون ، وكلما كان التباين اقل ، كان الارتباط اشد ، وكلما كانت القرابة ابعد كانت رابطة الاجتماع اضعف . وهناك ايضا من ظن ان الارتباط انما يكون بالتصاهر ، اي بزواج اولاد هذه الطائفة من اناث تلك الطائفة ، والعكس بالعكس . ومنهم ايضا من اعتقد ان الارتباط الاجتماعـي انما يكون بالاشتراك في رئيس واحد ، يجمعهـم ويدبرهم . وقوم راوا ان الارتباط هو بالايمـان والتحالف والتعاهد ، على ما يعطيه كل انسان من نفسه ، ولا ينافر الباقين ولا يخاذلهم .

وبعد ان يستعرض الفـارابي الـروابط الاجتماعية يقسم الجماعات بموجب روابطها الى قسمين : فمنها الكاملة ، ومنها غير الكاملة .

ويذكر بان الكاملة على ثلاثة اصناف : عظمى ، ووسطى ، وصغرى .

فالعظمى بمفهومه هي اجتماع الجماعات كلها في المعمورة ، وهي اكمل الجماعات . والوسـطى اجتماع امة في جزء من المعمورة (٤) . والصـغرى اجتماع اهل المدينة في جزء من مسكن امة .

اما الاجتماعات غير الكاملة ، فهي اجتمـاع اهل القرية ، واجتماعات اهل المحلة ، ثم الاجتماع في سكة او منزل . والخير والافضل والكمـال الاقصى انما ينال اولا بالمدينة ، ثم بالمعمورة . لا

(١) اراء اهل المدينة الفاضلة للفارابي ص٧٨ .
(٢) المصدر السابق ص٧٧ .
(٣) المصدر نفسه ص١٠٩-١١٠ .
(٤) الفارابي ـ المدينة الفاضلة ـ ص٨١ .

بالاجتماع الذي هو انقص من المدينة . وهكذا لاتنال السعادة في الحقيقة الا بالمدينة الفاضلة .

ثم يعمد الفارابي الى تصنيف الافراد وجماعات الناس الى طبقات بعضها فوق بعض في القوة او المال او الجاه . ويقول بان هذه الجماعات تتغالب وتتصارع وكذلك الافراد . فمن غلب وقهر كان الفائز والمغبوط والسعيد . وذلك شيء في طباع الناس . فما في الطبع هو العدل ، فالعدل اذن التغالب . وليس استعباد القاهر للمقهور الا من العدل ، وان يفعل المقهور ما هو الا نفع للقاهر هو ايضا عدل . فهذه كلها من العدل الطبيعي . وهي الفضيلة . وافعالها هي الافعال الفاضلة . ففي العدل الطبيعي يكون القاهر قاهرا ابدا . والمقهور مقهورا ابدا .

وفي بعض الحالات يتقارب الافراد وتتقارب الجماعات في القوة فيكون مرة لفرد او لقوم ، ومرة لفرد اخر او لقوم اخرين . ويمل هؤلاء تداول الغلب بينهما لان ذلك يضيع عليهما كثيرا من المغانم . عندئذ يصطلح الافراد والجماعات على شرائط يتعاملون بها في البيع والشراء والامانة وما الى ذلك ، ويفي بعضهم لبعض بها . فالوفاء بما اصطلح عليه كل فريق هو العدل الوضعي ، وهو ناتج عن ضعف وخوف الفريقين .

ويخلص الفارابي من كل هذه الابحاث الاجتماعية الى الغوص في التشبيهات والمطابقات للاثبات على جوهر مدينته الفاضلة التي يجعلها صورة طبق الاصل عن البدن التام الصحيح الذي تتكاتف وتتعاون اعضاؤه كلها لتتميم الحياة وحفظها ، وان نسبة رئيس المدينة واهلها كنسبة القلب الى البدن واعضاء البدن .

والافراد يتعاونون في المدينة ، كما تتعاون المدن في الامة ، وكما تتعاون الامم في المعمورة .

ولا يغفل الفارابي عن تشبيه المدينة الفاضلة بالعالم . وان نسبة السبب الاول الى سائر الموجودات كنسبة المدينة الفاضلة الى سائر اجزائها (٥) .

ومن هذا المنطق جعل الفارابي ترتيب مدينته الفاضلة واعضاءها على صورة مطابقة لترتيب الموجودات واستمدادها بعضها مع بعض القوى الروحانية السرمدية ، لان اكمل مدينة حسب راي الفارابي هي مدينة الله ، لذلك يجب ان تكون مراتب المدينة الفاضلة منظمة ومرتبة وفقا لنظام الكون الذي هو مدينة المبدع ، ولنستمع الى قول الفارابي: « فعلى هذا الترتيب تكون الموجودات كلها تقتفي غرض السبب الاول ... فالتي اعطيت كل ما به وجودها من اول الامر . فقد احتذى بها من اول امرها حذو الاول ومقصده ، فمادت وصارت في المراتب العالية . واما التي لم تعط من اول الامر كل ما به وجودها ، فقد اعطيت قوة تتحرك بها نحو ذلك الذي يتوقع نيله . ويقتفي في ذلك ما هو غرض الاول . وكذلك ينبغي ان تكون المدينة الفاضلة ، فان اجزاءها كلها ينبغي ان تحتذي بافعالها ومقصد رئيسها الاول ... » .

بعد هذه النظرة الشاملة في «المدينة الفاضلة» نأتي الى تحليل ـ قد يفي بالغرض ـ في فصولها .

اولاً ـ نظامها :

المدينة الفاضلة كالبدن التام الصحيح تتعاون اعضاؤه في سبيل الحياة وحفظها . وكما ان اعضاء البدن مختلفة في الهيئة ، متفاضلة في الفطرة والقوى . متدرجة في المراتب والاعمال حتى تصل الى عضو واحد رئيس هو القلب ، كذلك المدينة تختلف اجزاؤها فطرة ، وتتفاضل هيئة ، وتتدرج عملا ورتبة حتى تصل الى انسان هو الرئيس .

وتختلف المدينة عن البدن ، بكون أعضاء الجسم وقواه واعماله طبيعية عفوية ، بينما سكان المدينة وان كانوا طبيعيين فهم يصدرون فيما يفعلونه عن ملكات وهيئات ليست من وحي الفطرة وحدها بل هي ارادية خاضعة للاختيار والمسئولية، ولانتظار الثواب والعقاب .

وهذه الافكار تذكرنا بآراء سبنسر (٦) وغيره من اصحاب المذهب العضوي الذين يقايسون بين الجسد والهيئة الاجتماعية فيجدون ان لكل عضو من اعضاء المجتمع عملا يقوم به كما تقوم اعضاء الجسد بوظائفها ويجدون ايضا ان الافراد بالنسبة الى المجموع كالخلايا الحية بالنسبة الى الجسد فكأن الجماعة جسد كبير ، وكأن البدن جماعة صغيرة . وقد رد علماء اليوم على هذه النظرية وبينوا ان بين وظائف الحياة ووظائف الاجتماع فرقا عظيما من حيث تعاونها واختلافها . وكأني بالفارابي ادرك ما في هذه المقارنة من صعوبة فقال بان الفرق واقع من أن اعضاء المدينة افراد يشعرون ويفكرون

(٥) المصدر السابق ص٨٢ .

(٦) سبنسر (هربرت) : ١٨٢٠-١٩٠٣ . فيلسوف انكليزي من المدرسة الاختبارية . تأثر بمذهب التطور . من آرائه ان المرء لا يستطيع الوصول الى معرفة الله .

ويفعلون ، اما خلايا الجسد فهي لا تفكر ولا تريد بل تفعل بقوى طبيعية . وهذا احسن ما قيل في الرد على المذهب العضوي وبيان الفرق بين علم الحياة وعلم الاجتماع (٧) .

ثانياً ـ رئيس المدينة :

الرئيس من مدينته كالقلب من البدن . فالقلب هو « اكمل اعضاء الجسم واتمها في نفسه وفيما يخصه ، وله من كل ما يشارك به عضوا اخر افضله، ودونه اعضاء رئيسة لما دونها .... ورئيس المدينة هو اكمل اجزائها فيما يخصه ، وله من كل ما شارك فيه غيره افضله . ودونه قوم مرؤوسون منه ويرؤسون آخرين » (٨) .

القلب يتكون اولا ثم يكون السبب في تكوين سائر الاعضاء وفي حصول قواها وفي رفدها بما يزيل عنها الخلل الى حين وقوعه . ورئيس المدينة ينبغي ان يكون هو اولا ثم يكون هو السبب في ان تحصل المدينة واجزاؤها والملكات الارادية التي للاجزاء . وان اختل منها جزء كان هو المرفد له بما يزيل عنه اختلاله .

وكما تقوم الاعضاء في البدن بافعالها الطبيعية حسب غرض القلب متفاوتة في العمل من الشريف الى البسيط فالخسيس ، تبعا لشرف الموضوع او قلة غنائه او فرط سهولته ، هكذا الحال في المدينة اذ يقوم الاعضاء بافعالهم الارادية ، المتباينة في السمو والضعة ، وفق مقصد الرئيس وارشاده وتوجيهه ، ويكونون درجات متفاوتة من حيث الرئاسة او الخدمة . فدون الرئيس « مراتب رئاسات تنحط من الرتبة العليا قليلا قليلا الى ان تصير مراتب الخدمة التي ليست فيها رئاسة ولا دونها مرتبة اخرى ... والمدينة تكون مرتبطة اجزاؤها بعضها ببعض ، مؤتلفة بعضها مع بعض ، ومرتبة بتقديم بعض وتأخير بعض » (٩) .

والرئيس في المدينة نسبته الى اجزائها كنسبة السبب الاول او الله الى الموجودات . فكما راينا الطبيعة من اخسها الى ارفعها ترتبط بالواجب الوجود وتتحرك اليه متدرجة طبقات متسامية من العناصر البسيطة الى العقول المفارقة ، كذلك ينبغي ان تكون المدينة تحتذي اجزاؤها حذو رئيسها الاول على الترتيب الذي قصده والهدف الذي ارتضاه .

(٧) جميل صليبا ـ من افلاطون الى ابن سينا ـ ص٦٨ .
(٨) اراء اهل المدينة الفاضلة . للفارابي : ص٩٦ .
(٩) الفارابي ـ السياسات المدنية : ص٥٣ و٥٤ .

وعلى هذا الاساس يكون الفارابي قد سار في وصفه لرئيس المدينة الفاضلة في نفس الطريق الذي سار عليه اخوان الصفاء وفلاسفة الاسماعيلية في وصف الامام رئيس الدعوة فقال :

« ان الرئيس الحقيقي هو رئيس الامة الفاضلة ، ورئيس المعمورة كلها . ولا يجوز ان يكون فوقه رئيس اصلا ، بل هو فوق الجميع ، وليس في وسع كل انسان ان يكون رئيسا ، لان الرئاسة لا وجود لها في كل شخص . وانما يكون الرئيس انسانا قد استكمل جميع الصفات الحسنة ، فصار عقلا ومعقولا بالفعل ، وتكون القوة المتخيلة قد استكملت عنده بالطبع ، حتى صارت قادرة في اليقظة، او في وقت النوم ، ان تقبل الجزئيات عن العقل الفعال . فالانسان الذي حل فيه العقل الفعال . هو الذي يصلح للرئاسة . فيفيض عليه ما يفيض من الله على العقل الفعال . ويكون حكيما وفيلسوفا، نبيا منذرا بما سيكون ، ومخبرا بما هو الان ، ويكون في اكمل مراتب الانسانية . وفي اعلى درجات السعادة ، ثم يجب ان يكون له مع ذلك قدرة بلسانه على جودة القول . والتخيل . وقدرة على جودة الارشاد الى السعادة ، وان يكون له مع ذلك جودة وثبات ببدنه لمباشرة الاعمال ... ورئيس المدينة الفاضلة ليس يمكن ان يكون اي انسان اتفق ، لان الرئاسة انما تكون بشيئين : احدهما ان يكون بالفطرة والطبع (١٠) بعدا لها ، والثاني بالهيئة والملكة الارادية ..... » .

ويفترض الفارابي ان يكون رئيس المدينة الفاضلة يتمتع بصفات خلقية ومناقبية سامية قال :

« .... يجب ان يكون الرئيس تام الاعضاء جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له ، جيد الحفظ لما يفهمه ، ولما يراه ويسمعه ، ولما يدركه ، جيد الفطنة ذكيا ، اذا راى الشيء بادنى دليل فطن له ، محبا للتعليم والاستفادة ، منقادا له ، سهل القبول، لا يؤلمه تعب التعليم ، ولا يؤذيه الكد الذي يناله منه، غير شره على الماكول والمشروب ، محبا للصدق واهله (١١) ، مبغضا للكذب وذويه ، كبير النفس ، محبا للكرامة محتقرا للمال ، ولسائر اعراض الدنيا، محبا للعدل واهله ، ومبغضا للجور والظلم ، عدلا غير صعب القياد ، لالجوجا ولا جموحا اذا دعي الى العدل ، بل صعب القياد ، اذا دعي الى الجور، والى القبح ، قوي العزيمة على الشيء الذي يرى انه

(١٠) اراء اهل المدينة الفاضلة ص٨٣ـ٢٨٥ .
(١١) المصدر نفسه ص٨٦ـ٨٧ .

ينبغي ان يفعل ، جسورا مقداما ، غير خائف ولا ضعيف النفس ... » .

هذه هي الشروط التي يجب ان تتوفر برئيس المدينة الفاضلة التي تخيلها الفارابي ، وعلى هذه المثابة يجب أن يكون الامام رائد المدينة المثالية . والذي يشرع الشرائع ويضع القوانين ويسهر على تنفيذها بدقة لان هذه الشروط لا تتوفر - برأي الفارابي - الا للواحد بعد الواحد ولا تتجسد الا في الاقل من الناس .

وفي حالة عدم وجود واحد تجتمع فيه هذه المناقب كلها ، ولكن وجد اثنان : احدهما حكيم ، والثاني في الشروط الباقية ، كانا هما رئيسين : الاول اصيلا ، والثاني يخلف الاول في ادارة المدينة لا في وضع التشريع لها ، اذ ان عليه - اي على الرئيس الثاني ان يعمل بموجب الشرائع والسنن التي وضعها الرئيس الاول وامثاله للمدينة، وبالرغم من كل هذا يجب ان تتوفر بالرئيس الثاني منمولده وصباه ستة شروط قد تربى عليها : حكيما ، عالما حافظا للشرائع والسنن ، له جودة استنباط لفروع من التشريع لم يحفظ مثلها عن السلف - وان يسلك في استنباطه هو مسلك الائمة الاولين الذين وضعوا الشرائع ، وان يكون بعيد النظر محتاطا لما يمكن ان يحدث في المستقبل كيلا تؤخذ المدينة على حين غرة من اهلها ، وان يكون قادرا على ارشاد اهل المدينة الى وجوه استعمال الشرائع التي وضعها الاولون ، ووجوه تلك التي استنبطها هو ، ان يكون شجاعا عارفا بامور الحرب ، قادرا على مباشرة الحرب .

وفي حالة عدم وجود رئيس ثان واحد تتوفر فيه هذه الشروط يمكن ان يكون في المدينة الفاضلة رئيسان او ثلاثة او ستة ، بشرط أن يكون واحد منهم على الاقل حكيما . وفي حالة تعذر وجود من يتمتع بالحكمة ليقوم بأمر المدينة ، من الاشخاص القائمين بأمرها ظلت المدينة بلا ملك ، وكان القائم ملكا بالاسم ، وكان علينا ان نبحث عن شخص حكيم نضمه الى القائم بامر المدينة ، فاذا لم نعثر على مثل هذا الحكيم تعرضت المدينة للهلاك ، ثم هلكت (١٢) .

ويذهب الفارابي الى ان الملوك الذين يتوالون على رئاسة المدينة الفاضلة في الفترات المختلفة واحدا بعد واحد سواء اكانوا في مدينة واحدة او في مدن متعددة ، متعاصرة او غير متعاصرة ، فانهم كنفس واحدة . او كانهم ملك واحد يبقى الزمان كله . لان هؤلاء الملوك قد كملوا في العقل وفي التخيل . وبما ان الكمال واحد فيهم فانهم لا يختلفون في شيء

صفات الرئيس :

من الطبيعي وقد جعل ابو نصر قيام المدينة وبقاءها وقفا على الرئيس ، ان لا يسلم قيادها لاي شخص اتفق .

فالرئيس ينبغي ان يكون معدا لذلك بالفطرة والطبع والملكة الارادية اي بمواهب فطرية وتوجيه صحيح . وان يكون من أهل الطبائع الفائقة وقد بلغ كمال العقل وكمال المتخيلة فاصبح بما يفيضه العقل الفعال على قوته الناطقة حكيما فيلسوفا . وبما يفيضه على قوته المتخيلة نبيا منذرا . وهذا الانسان الذي اجتمعت فيه خاصتا النبوة والفلسفة - هو في اكمل مراتب الانسانية واعلى درجات السعادة . ولا يمكن ان تحصل هذه الحال الا لمن توفرت فيه اثنتا عشرة خصلة قد فطر عليها وهي ان يكون .

١ ـ تام الاعضاء ، تساعده قواها على انجاز الاعمال الخاصة بها .

٢ ـ جيد الفهم والتصور بالطبع ، لكل ما يقال ويقصد .

٣ ـ جيد الحفظ لما يراه ويسمعه او يفهمه ويدركه ، حتى يكاد لا ينساه .

٤ ـ جيد الفطنة ذكيا اذا راى الشيء بادنى دليل ، فطن له على الجهة التي دل عليها .

٥ ـ حسن العبارة يؤاتيه لسانه على ابانة كل ما يضمره ابانة تامة .

٦ ـ محبا للعلم منقادا له ، لا يؤلمه في سبيله تعب ولا يؤذيه كد .

٧ ـ غير شره الى المأكول والمشروب والمنكوح ، متجنبا بالطبع للعب كارها للذات الناتجة عنه.

٨ ـ محبا للصدق واهله ، مبغضا للكذب واهله .

٩ ـ كبير النفس محبا للكرامة وطلب الرفعة .

١٠ـ محبا للعدل واهله ، مبغضا للظلم والجور ، غير صعب القياد ولا لجوجا ولا جموحا اذا دعي الى العدل ، بل يصعب قياده اذا دعي الى الجور والقبيح .

١١ـ قوي العزيمة على الشيء الذي يرى ان ينبغي ان يفعل جسورا عليه مقداما .

١٢ـ ان يكون الدرهم والدينار وسائر اعراض الدنيا هينة عنده .

(١٢) اراء اهل المدينة الفاضلة ص٨٩ .

« فهذا هو الرئيس الذي لا يرئسه انسان آخر اصلا . وهو الامام وهو الرئيس الاول للمدينة الفاضلة وهو رئيس الامة الفاضلة ، ورئيس المعمورة من الارض كلها . . . واجتماع هذه الخصال كلها في انسان واحد عسر . فلذلك لا يوجد من فطر على هذه الفطرة الا الواحد بعد الواحد . والاقل من الناس » (١٣) .

اما اذا استحال في وقت من الاوقات وجود شخص هذه صفاته ، فلابد ان تؤخذ الشرائع التي سنها رئيس سابق ، ويعهد بتطبيقها الى رئيس جديد شرط ان يجتمع فيه ست صفات :

١ ـ الحكمة وهي اولى الخصال واهمها .

٢ ـ العلم وحفظ الشرائع والسير التي دبرها الاولون .

٣ ـ جودة الاستنباط في ما لم يرد عن السلف .

٤ ـ جودة الروية فيما ينبغي ان يعرف من الحوادث الطارئة .

٥ ـ جودة الارشاد بالقول الى شرائع الاولين .

٦ ـ جودة الثبات في مباشرة اعمال الحرب .

فاذا لم يوجد انسان واحد تجتمع فيه هذه الشروط ، بل وجد اثنان ـ كما سبق واشرنا ـ او اكثر توفرت الحكمة في احدهم وتوزعت سائر الخلال في جماعة متلائمين ، شكلوا جميعا مجلس حكومة برئاسة صاحب الحكمة . اما اذا فقد الحكيم من المدينة فلا مفر لها من الهلاك والفساد ولو توفرت لها كل باقي الخصال . لان الحكمة هي الصفة الاساسية التي لا قيام لدولة ولا استمرار لحكم بدونها .

ثالثاً ـ معارف المدينة الفاضلة :

اشياء مشتركة ينبغي ان يعلمها اهل المدينة الفاضلة (١٤) :

معرفة السبب الاول او واجب الوجوب .

الاشياء المفارقة للمادة حتى تنتهي الى العقل الفعال .

علم الافلاك وما يوصف به كل من الجواهر السماوية .

عالم الكون والفساد وكيفية فيضه ، وما تجري عليه الاجسام الطبيعية من عدل واحكام . وعناية واتقان .

الانسان وقواه النفسية وحصول المعقولات والارادة والاختيار بفيض من العقل الفعال .

رئيس المدينة الفاضلة والرؤساء الذين يخلفونه ، والوحي النبوي .

المدينة الفاضلة واهلها والسعادة التي تصير اليها نفوسهم .

المدن المضادة وما تقول به من اراء وماينتظرها من مصير .

الامم الفاضلة والامم المضادة لها .

وطريقة المعرفة باحد وجهين : فلسفي وتصويري :

والاول علم الطبقة الخاصة اذ ترسم الحقائق في النفس كما هي ويحصل ذلك : للحكماء بالحجة والبراهين وبصائر النفوس ، ولتابعيهم بالتصديق والثقة فيما يقولون .

والثاني علم الطبقة العامة من الشعب وهو لا يتم الا بتقريب الحقائق المجردة من الذهن بواسطة الصور والامثال والمحاكيات . ولما كانت الاحوال والتشابيه غير متفقة عند جميع الامم ويقتضي لحصول الفائدة مراعاة هذه الظاهرة ، نتج وجود امم ومدن تختلف مللهم في التفاصيل ولكنهم « يؤمون سعادة واحدة بعينها ومقاصد واحدة باعيانها » . كما نتج تأويل وتخريج يؤديان احيانا الى اضطراب في الاراء وعناد .

رابعاً ـ المدن الضالة :

ذكرنا بان الفارابي ذهب الى ان المدينة الفاضلة تطابق في ترتيبها وتنظيمها ، ترتيب وتنظيم عالم الابداع او بالاحرى رأى الفارابي انه من الضرورة ان يكون ترتيب وتنظيم مدينته الفاضلة موافقا لتنظيم عالم الصنعة الالهية من الناحية الاجتماعية والسياسية لان العالم حيوان كبير ، كما ان الحيوان عالم صغير .

وكما ان جسد الحيوان ، اذا اصيب بمرض ، فسد مزاجه ، وتشوشت افعاله ، واضطربت

(١٣) اراء اهل المدينة الفاضلة : ص١٠٥ و١٠٦ . يلاحظ ان هذه المزايا قريبة جدا من الصفات التي يقررها افلاطون لرئيس جمهوريته اذ يجب ان يكون : محبا للحقيقة ، راغبا في المعرفة ، مبغضا للكذب محبا للصدق ، ميالا الى احتقار اللذات الجسدية ، غير مكترث بالمال شديد القناعة ، زاهدا في الحياة ، شجاعا امام الموت ، بعيدا عن العناد والكبرياء ، حر الفكر ، قوي الحدس ، عادلا ، سريع الخاطر والذاكرة ، محبا للجمال ، ذا فطرة موسيقية منسقة .

(١٤) جوزف الهاشم ـ الفارابي ـ ص١٥٣ـ١٥٤ .

اعضاؤه فكذلك المدن قد تصاب بامراض كثيرة ، فتصبح المدينة الصحيحة مريضة ، وتنقلب المدينة الفاضلة الى مدينة ضالة ، يستحسن اهلها القبيح ، ويستقبحون الحسن .

ولما كانت المدينة الفاضلة مبنية على اسس معينة لا تتغير ولا تتبدل ، ولرئيسها شروط من الواجب التقيد فيها بدقة واتمعان . وفي حالة الاخلال بهذه (١٥) الاسس او عدم توفر تلك الشروط لا يكون هنالك مدينة فاضلة . لان المدينة الفاضلة تعرف باراء وسلوك اهلها الذين يعيشون فيها ويتولونها . ولهذا جعل الفارابي المدينة الفاضلة ضد المدينة الجاهلة ، والمدينة الفاسقة ، والمدينة المتبدلة ، والمدينة الضالة . واهل هذه المدن المضادة للمدينة الفاضلة يعتقدون ان كل شيء في العالم يمكن ان يكون مختلفا مما تألفه اليوم ، حتى الثلاثة مكررة ثلاث مرات يمكن ان تعطينا عددا غير التسعة .

ويقول الفارابي بان الذي جعل الامور على ما هي عليه اليوم فاحد ثلاثة امور :

١ ــ بالاتفاق (كذا وجدت بلا قصد او غاية) .

٢ ــ او لان فاعلا من غير هذا العالم ارادها ان تكون على ما هي عليه فعلا .

٣ ــ او بالتوهم ، اي اننا نحن قد جعلنا في اوهامنا ان الحق والصدق هو هذا الذي نراه الان ، وان كل ما نعقله اليوم وندرك انه الحق يمكن ان يكون ضده ونقيضه هو الحق .

وبعد كل هذا ينتقل الفارابي ليحدد معالم المدن المضادة واحدة واحدة فيقول :

المدينة الجاهلة : ــ

هي المدينة التي لم يعرف اهلها السعادة ، ولا خطرت ببالهم ، ان ارشدوا اليها لم يقيموها ، وان ذكرت لهم لم يعتقدوها .

لا يعرفون من الخيرات الا سلامة الابدان ، واليسار ، والتمتع باللذات ، ونيل المجد والعظمة . واذا اضاع احد افرادها شيئا من ماله او اصيب بآفة في بدنه او فاتته لذة ساعة ، حسب ذلك شقاء ، وعده فسادا .

ويعتبر الفارابي المدينة الجاهلة اصلا لعدة مدن فرعية تتفق معها في طلب السعادة الدنيوية الظاهرة وهي :

١ ــ المدينة الضرورية : وهي التي اقتصر اهلها على طلب الحاجات الضرورية للانسان من ماكل ومشرب وملبس ومسكن ، ولا يفكرون الا بالتضامن والتعاون على نيل ذلك (١٦) .

٢ ــ المدينة البدالة : يتعاون من فيها على جمع المال والثروة ، لا يهدفون من وراء ذلك الى الانتفاع والفائدة ، بل غايتهم وهدفهم الاوحد اليسار في الحياة .

٣ ــ مدينة الخسة والشقوة : وهي التي قصد اهلها التمتع باللذة من المحسوس والتخيل وايثار الهزل واللعب والمجون .

٤ ــ مدينة الكرامة : هم اهلها طلب المجد والعظمة ، ليصبحوا ذوي فخامة وبهاء وشهرة ، ويكونوا مكرمين ، ممدوحين ، مذكورين ، مشهورين بين الامم ، ممجدين معظمين ، بالقول والفعل ، ذوي مخافة وبهاء .

٥ ــ مدينة التغلب : وهي التي قصد اهلها ان يكونوا القاهرين المتسلطين على غيرهم ، تستبد بهم شهوة القوة والقهر في سبيل اللذة التي تنالها من الغلبة وحسب . ولذا فهم يعملون على قهر الاخرين والصمود في وجه كل غاز ومهاجم .

٦ ــ المدينة الجماعية : وهي المدينة التي يريد اهلها ان يكونوا احرارا يعمل كل منهم مايشاء ، فيتبع هواه ، ويتصرف فيما للاخر . كان امرهم فوضى بينهم لا يتباينون ، ولا يمنعون انفسهم من شيء اصلا . وكل ملك او رئيس من ملوك او رؤساء هذه المدن رائدة التسلط على اهل مدينته ليحصل على الحظ الاوفر من الاهداف التي يسعى اليها اهل مدينته .

المدينة الفاسقة : وهي من المدن المضادة للمدينة الفاضلة . يعلم اهلها ما يعلمه اهل المدينة الفاضلة من اسباب السعادة ، ويعرفون الله والعقل الفعال ، ويعتقدون ذلك كله ، ولكن تكون افعالهم افعال المدن الجاهلة . فهم يقولون بما يقوله اهل المدن الفاضلة ، ولكن من غير ان يعملوا به .

المدينة المتبدلة : وهي ايضا من المدن المضادة التي كانت اراء اهلها وافعالهم في القديم ، مطابقة لاراء المدينة الفاضلة وافعالهم ، الا انها تبدلت ، فدخلت فيها اراء فاسدة ، واستحالت افعالها الى افعال مذمومة .

المدينة الضالة : وهي التي تعتقد في الله ،

(١٥) اراء اهل المدينة الفاضلة ص٩٠ .

(١٦) المصدر السابق ص٩١ .

وفي العقول الثواني ، وفي العقل الفعال ، اراء فاسدة، ويكون رئيسها الاول ضالا ، يظن انه يوحي اليه ، وهو بعيد عن الوحي ، بعد السماء عن الارض . فيخادع الناس . ويغرهم باقواله وافعاله .

وملوك هذه المدن مضادة لملوك المدن الفاضلة، ورياستهم مضادة للرئاسات الفاضلة . وكذلك سائر من فيها (١٧) .

نفوس اهل المدن المضادة بعد الموت : كان لابد للفارابي بعد ان بحث في ماهية المدينة الفاضلة والمدن المضادة لها من ان يتعرض لمصير نفوس سكان هذه المدن بحسب ماهيتها وانواعها ، فيجعل النفوس بعد الموت ثلاث احوال : الخلود في النعيم ، والخلود في الشقاء ، والهلاك والانحلال والعدم .

وقد خص اهل المدينة الفاضلة بالخلود في النعيم لنفوسهم فقال :

اذا مات جماعة من اهل المدينة الفاضلة وخلصت نفوسهم من ابدانها ، اجتمعت تلك النفوس سعيدة بما كانت قد اكتسبته في حياتها الدنيا من الاراء الصحيحة الصائبة ثم يلحق بهؤلاء امثالهم وينضمون اليهم .

اما اهل المدن الفاسقة فلهم الخلود في العذاب لانهم يعرفون الاراء الفاضلة ، ولكنهم يعملون اعمال اهل المدينة الجاهلة فتكتسب نفوسهم هيئات نفسانية رديئة . فتقترن هيئاتهم الرديئة بهيئاتهم الفاضلة الاولى . وتضاد الهيئات الاولى الهيئات الاخيرة فيحدث للنفس من ذلك اذى جديد . فيجتمع الاذيان على النفس فيزداد عذابها .

وفي الحياة الدنيا لا يشعر اهل المدينة الفاسقة بهذا العذاب لان الحواس تكون مشغولة بالالتذاذ بمحسوساتها . ولكن اذا تخلصت النفس من الجسد لم يبق ما يشغل النفس عن تضاد تلك الهيئات المختلفة فتشعر النفس حينئذ بالعذاب وتبقى الدهر كله في اذى عظيم .

اما نفوس اهل المدينة الجاهلة الذين لا يعرفون شيئا من اراء اهل المدينة الفاضلة فلا تتصور في نفوسهم المعقولات لانها لا تختلف عن اجسادهم ولا فرق بين نفوسهم واجسادهم ومتى انحلت اجسادهم تنحل نفوسهم معها وتصير كلها الى العدم .

وكذلك بالنسبة لاهل المدينة الضالة والمبدلة.

(١٧) اراء اهل المدينة الفاضلة للفارابي ص٩٢ .

اما ملك المدينة الضالة وملك المدينة المبدلة اللذين يعرفان الاراء الفاضلة ولكنهما بدلاها لقومهما واضلا الناس عنها ، فان نفسيهما تخلدان في العذاب مع نفوس اهل المدن الفاسقة .

اما اذا تسلط ملك من المدينة الفاسقة او الضالة او المبدلة على جماعة من اهل المدينة الفاضلة ثم قهرهم على ان يفعلوا افعال اهل المدينة الجاهلة، فان عملهم الذي قهروا عليه والذي لم يعتقدوا به لا يمكن ان يكسب نفوسهم هيئة رديئة .

من اجل ذلك لا تضرهم هذه الافعال ولا تتعذب بها نفوسهم بعد الموت (١٨) .

خامساً ـ آراء المدن :

القاسم المشترك بين كل هذه المدن ، بعدها عن الحق وشذوذها عن محجة الصواب ، واذا اختلفت آراؤها في بعض الوجوه والدقائق ، فانها تلتقي عند قضايا المجتمع الكبرى كالعدالة ، والفضيلة ، واصل التجمع ، وتنازع البقاء .

١ ـ الداء السبعي او تنازع البقاء :

طبيعة الوجود صراع دائم في سبيل البقاء . فما احد من الموجودات الا وقد حبي قوة يحفظ بها كيانه ويهاجم خصومه ومن فطرته ان يستغلها الى ابعد الحدود ، فهو لم يعطها للزينة بل لطلب النفع ودفع الضرر . وانا نرى في مملكة الحيوان فتكا وافناء مستمرين ولو لم يؤد ذلك الى نفع ظاهر ، فكانما طبع الحيوان على الا يرى لوجود غيره حقا في الحياة ، وعلى ان وجود كل ما سواه ضار له .

وبعد ان سلحت الكائنات بهذه الوسائل للهجوم والدفاع ، خليت الى طبعها تتغالب وتتصادم ، والاقهر منها لما سواه يكون اتم وجودا . والغالب ابدا بين ان يفني خصمه اذا راى فيه باب مضرة ، او ان يستبقيه ويستبعده ليكون خادما له وعونا .

وهذه الحال هي طبيعة الموجودات باسرها . تفعلها الاجسام الطبيعية بالفطرة والغريزة ، ويقدم عليها الانسان بارادته واختياره . ولذا ينبغي ان تكون المدن متغالبة متهارجة لا مراتب فيها ولا نظام ، ولا استئهال يختص به احد دون احد لكرامة او لشيء اخر . وبالتالي لا تحاب بالطبع ولا ارتباط

(١٨) مصطفى غالب ـ فلاسفة من الشرق والغرب ـ ص١٧٧ـ١٨٢ .

بين اعضاء الهيئة الانسانية : « بل ينبغي ان ينقص كل انسان كل انسان ، وان ينافر كل واحد كل واحد ولا يرتبط اثنان الا عند الضرورة ، ولا يأتلفا الا عند الحاجة . ثم يكون اجتماعهما بان يكون احدهما القاهر والاخر مقهورا . وان اضطرا لاجل شيء وارد من خارج ان يجتمعا ويأتلفا ، فينبغي ان يكون ذلك ريث الحاجة وما دام الوارد من الخارج يضطرهما الى ذلك . فاذا زال ينبغي ان يتنافرا ويتقاتلا . . . . والانسان الاقهر لكل ما يناوئه هو الاسعد . » (١٩) .

فالكون اذن ساحة قتال ، شريعته القوة وسنة الناب ، وسلاحه كل ما يؤدي الى القهر والتغلب . طبيعة كائناته الانانية والتفرد ، وهدف شعوبه مصلحة خاصة تستبيح كل الحرمات . القوي فيه الى نصر وتعظيم ، والضعيف الى عبودية او فناء .

٢ ـ اصل المجتمع :

يرى البعض من اهل المدن الجاهلة ان الاجتماع الحاصل سببه ضعف الفرد عن القيام بكل مايحتاجه دون معونة الاخرين ومؤازرتهم . ولكن ، على اي اسس يتم هذا التجمع ؟

قال جماعة **بالتعاون للقهر** : يتغلب بطل على خصومه فيستعبدهم ثم يجبرهم على مساعدته لقهر اخرين . ويمضي على هذه الحالة حتى يجتمع له قوم يصيرهم الات تتحرك على هواه وتوفر له اسباب الرخاء والسيادة .

وقال اخرون **بصلة الرحم** : فان الاشتراك في الولادة من اب واحد هو رباط متين ، رباط دموي ، يدفع الى الائتلاف والتحاب والتعاون في سبيل الغلبة . ولكن عصبية الدم هذه ـ على قوتها ـ لا تلبث ان تضعف مع الزمن وتتحول الى فتور وتنافر ، ولا يعود اصحابها الى الارتباط الا بصعوبة كبيرة وعند الضرورة القصوى الواردة من خارج ، كشريدهم ولا سبيل الى صده ودفعه بغير التكاتف .

وقال غيرهم **بالتصاهر** : فتكون المراة ونسلها وسيلة تفاهم بين فئة وفئة ، خاصة حين يتم التزاوج بين مختلف الطوائف والعشائر .

ورأى قوم ان **الاشتراك بالرئيس** هو الرابطة الاشد . لان هذا الرئيس الاول جمع شملهم ودبر امرهم وقادهم الى النصر فحققوا على يديه امالهم ونالوا ما تصبو اليه نفوسهم من فلاح وخيرات .

وفئات قالت **بالتحالف والتعاقد** : فيعطي كل انسان مع نفسه ، ولا ينافر الباقين ولايخاذلهم ، وتكون ايديهم واحدة في ان يغلبوا غيرهم ، وان يدفعوا عن انفسهم غلبة لهم .

واخرون راوا قيام الروابط بتشابه **الخلق** والشيم الطبيعية ، وبالاشتراك في **الصقع** والسكن .

وهناك اشياء تساعد على ارتباط جزئي بين الافراد ، منها طول التلاقي ، والاشتراك في الصنائع واللذائذ ، ووفرة المناسبات العامة كالطعام والشراب والسفر وما الى ذلك .

٣ ـ العدل :

ما في الطبع هو العدل . وطبيعة الاشياء قهر ومغالبة ، وفي الغلبة غبطة وسعادة ، فالعدل اذن هو القوة . استيلاء الغالب على مال المغلوب وحياته عدل « واستعباد القاهر للمقهور هو ايضا عدل ، وان يفعل المقهور ما هو الانفع للقاهر هو ايضا عدل فهذه كلها هي العدل الطبيعي ، وهي الفضيلة وهذه الافعال هي الافعال الفاضلة » (٢٠) .

اما سائر ما يسمى عدلا ، كالبيع والشراء ، والتعامل والعقود ورد الودائع واشباه ذلك ، فليس سوى نتيجة ظرفية لخوف او ضعف او ضرورة ، وقد تكرس واقعا خاطئا يقتضي الرجوع عنه . ذلك ان شخصين او طائفتين يتعادلان قوة ، ويتنازعان مطلبا فلا يتمكن احدهما من قهر الاخر . وبعد ان يصلا الى حالة صعبة الاحتمال ، يتنازل كل منهما للاخر عن شيء مما كان عليه النزاع لقاء شروط يبرمانها ويصطلحان عليها . ثم ينشأ جيل جديد يحسب ان العدل هو هذه الشرائط التي يسير عليها دون ان يدري انها قيود املاها الخوف والضعف وفرضتها الظروف ويجب ان تزول مع زوال اسبابها ، وبمجرد ان يقوى احد الطرفين على الاخر ، يجب ان ينقض الشريطة ويثب على خصمه يقهره ويستعبده . اما الذي يثابر على احترام هذه العهود فواحد من اثنين : مغرور بعقيدته ، او ضعيف جبان .

٤ ـ الخشوع :

القول باستعمال الصلوات والتسابيح وتعظيم الاله ، وبان الروحانيين يشرفون على جميع هذه الافعال ، وبان نبذ العالم يكسب السعادة الاخروية ، والتمتع بالخيرات واللذائذ يقود الى العقاب والهلاك . . . الخ كل هذا ابواب من الحيل والمكايد يقوم بها جماعة لكسب العيش والكرامة وبلوغ

(١٩) اراء اهل المدينة الفاضلة : ص١٢٨ .

(٢٠) اراء اهل المدينة الفاضلة ص١٣٤ .

العزة والسيادة . فهم لا يجدون من نفسهم قدرة على المجاهدة ومنازعة الغير في معترك الحيـــاة ، فيعمدون الى الرياء مخفين مقاصدهم ، مبتكرين هذه الاساليب ، داعين الى الاخذ بالترهيب مـرة وبالترغيب اخرى ، وينطلي خداعهم على البعض ويكون ذلك سببا لتكريمهم واحراز ما يرغبون بـه من مال وسؤدد ولذة وحرية تحت شعار الزهـــد والعكوف على العبادة ونكران الذات .

ولا عجب ان تتخذ فئة من الناس هذه الطريقة . أوليس صيد الوحوش منـه ما يكون مغالبـــة ومجاهدة ومنه ما هو مخاتلة ومكايدة ؟ فلم لا يكون طلب الخيرات هكذا فيظهر المرء غير ما يخفيه ويامن بذلك حذر الناس ومنازعتهم ، فينال مقصده بيسر وســهولة .

اما الذي يمارس الخشوع عن صدق وايمان فانه يكون عند الناس « مخدوعا مغرورا ، شقيـا احمق ، عديم العقل ، جاهلا بحظ نفسه ، مهينا ، مذموما ، لا قدر له ، غير ان كثيرين يظهرون مديحته لسخرية به . وبعضهم يقويه لنفسه لئلا يزاحم في شيء من الخيرات ... وقوم اخرون يمدحونـــه ويغبطونه لانهم ايضا مغرورون مثل غروره » (٢١) .

قيمة المدينة الفاضلة

مدينة الفارابي محاولة مخلصة لبناء مجتمـع فاضل سعيد . بيد انها اوغلت في المثالية حتى بلغت درجة الاستحالة في هذه الدنيا وكادت تطل ــ في قسمها الاول ــ على عالم المفارقات والعقل الفعـال في الملأ الاعلى . بناها على شخصية الرئيس ، فهو اساسها ومحورها ، وهو نظامها ودستورها ، وبه قيامها وفناؤها . هات رئيسا دائم الاتصال بالعقل الفعال حتى يصبح نبيا وفيلسوفا في آن واحد، وخذ مدينة لا يطيف بها الا الكمال والسعادة . اما نظم الدولة وشرائعها مالية واقتصادية ، تربويـــة واجتماعية ، ادارية وسياسية ، اما ذلك كله مما تبنى عليه الدول ، فمنوط بالرئيس ، لا يتعرض له الفارابي بقليل او كثير ، خلا ما يقرره من ضرورة تعليم الناس فلسفته الفيضية وما يترتب عليها .

ولا شك ان الفارابي متاثر في هذا الامـــر ، بافلاطون ومجتمع الاسلام معا . راي افلاطون في جمهوريته ان لا سعادة للناس « ما لم يملك الفلاسفة او يتفلسف الملوك ، والحكام اي ما لم تتحد القوتان السياسية والفلسفية في شخص واحد » . وفرض فلسفته الخاصة بنظام المثل ، منهاجا صالحا لهذه الجمهورية المثلى . وقام المجتمع الاسلامي علـى تعاليم نبي مرســل حمل في الكتاب المنزل كل مـا يحتاجه المرء من قوانين ونظم للحياتين ، ومهمـة الخليفة العادل ان يحسن فهم هذه الشرائع ويتقيد بها . وبمجرد ان ينحرف عنها يميل بشعبه الـى الفساد والضلال .

اخذ ابو نصر بالرايين معا فجعل رئيس مدينته فيلسوفا على غرار افلاطون ، ونبيا على طريقـــة المجتمع الاسلامي الكامل حتى قال فيه ديبور : « عندما يتكلم عن الرئيس الذي يمثل الامير المثالي في ذلك صورة لنظرية المسلمين السياسية لذلـك العهد ... اما رئيسه فافلاطون في ثوب النبـي محمد(٢٢) » .

ويرى بعض الباحثين في نظام الفارابي هذا ، اثرا عميقا للنزعة الشيعية الاسماعيلية التي تجعل الامام ضرورة ماسة لقيام المجتمع وبقـاء العـالم ، وتسعى للاجتماع الكوني العام تحت سلطته ، وتغدق عليه من النعوت والصفات ، ما يتفق ومزايا رئيس المدينة الى حد بعيد . ولكننا نلاحظ ان هذا التشابه لا يقتصر على امام الشيعة الاسماعيلية وحسب ، بل ينطبق كذلك على رئيس الجمهورية عند افلاطون ، وعلى الخليفة العادل عند المسلمين .

اما القسم الثاني من المدينة وهو يدور على مضاداتها او المدن الجاهلة ، فقد ظهر فيه الفارابي واقعيا دقيق الملاحظة . فان اقواله في وصف اراء المدن الضالة من حيث القهر والقوة والعدل والتدين والمعاهدات وتنازع البقاء وروابط المجتمع ... الخ يلتقي فيها مع كبار الفلاسفة وعلماء الاجتماع فـي العصور الحديثة . فنظريته في القوة صورة مصغرة لفلسفة نيتشه ، وقوله في التغالب وتنازع البقاء لا يختلف عن راي داروين وقول هوبس بان الانسان ذئب على اخيه الانسان ، وتقريره العقد والتعاهد في روابط المجتمع لا يعدو ما سيطالب به جان جاك روسو في كتابه الشهير : العقد الاجتماعي .

ويجدر بنا التنبه على امرين هامين :

الاول ان بعض هذه الاراء ورد عن افلاطون والسفسطائيين من ان « العدالة هي حق الاقوى .. والناس لا يمدحون الاعتدال والعدالة الا لانهـــم اذلال جبناء لا يستطيعون ان يتبعوا اهواءهم » .

---

(٢١) اراء اهل المدينة الفاضلة : ص١٣٧ .

(٢٢) ديبور ــ تاريخ الفلسفة في الاسلام ــ ص١٧٢-١٧٣ .

والثاني ان الفارابي ـ شان افلاطون ـ لا يقبلها ويقرها ، بل يعرضها دون نقاش وتفصيل على انها فاسدة مفسدة تقود الى الهوى والضلال .

بيد ان الفارابي ، اذا التقى وافلاطون في نقاط اتفاق فانه يختلف عنه في مواطن كثيرة . من ذلك :

١ ـ ان افلاطون يقسم جمهوريته الى ثلاث طبقات وفق قوى النفس . فطبقة الحكام توازي القوة العاقلة ، وطبقة الجنود القوة الغضبية، وطبقة العمال او الاقتصاديين القوة الشهوانية. اما الفارابي فيرتب مدينته وفق قوى البدن بتدرج اعضائه ، او نظام الفيض بمراتب الموجودات وتدرجها من الهيولي الى الواجب الوجود .

٢ ـ يعرض افلاطون لبناء المدينة وتعيين الطبقات، بسن نظام تربوي محدد المنهج والزمن في كل مرحلة من مراحله ، قائم على امتحانات ترتب على اساسها الطبقات وتهيأ . وهي محاولة واقعية وان لم يحالفها التوفيق . اما الفارابي فلا يحفل بشيء من ذلك بل يترك المهمة على عاتق الرئيس الصالح .

٣ ـ افلاطون لا يسلم قيادة جمهوريته لفيلسوف وان بلغ الذروة في العلوم النظرية ، ما لم يطلقه خمس عشرة سنة في مجتمعه الواسع يعود بعدها الى الحكم وقد كسب المعرفة العملية والمران . اما الفارابي فيكتفي بان يجعل الرئيس نبيا وفيلسوفا يشرق عليه العقل الفعال ، وهو في هذه الدرجة من التفوق مستغن عن الخبرة العملية .

٤ ـ يقول افلاطون بشيوعية الملك والنساء والاولاد، ليمنع التعدي بين طبقات المجتمع ويحسم النزاع والشرور ، ولا يعرض الفارابي المفكر المسلم لشيء من هذا .

« راي الفارابي في المدينة الفاضلة لا يخلو بعض الاحيان من السذاجة ، غير ان قوة وصفه ناشئة في الحقيقة عن صدق تصوره وقوة ايمانه ، وثقته بطبيعة الانسان وفطرته . ان مدينته هي مدينة الصالحين الذين يحكمهم فلاسفة حكماء او انبياء منذرون ، لذلك كانت هذه المدينة الفاضلة مدينة خيالية ، بعيدة عن الحياة والتجربة ... وقد نسج الفارابي على منوال افلاطون في وصف رئيس المدينة الفاضلة وفي اكثر هذه المسائل الا انه بالغ في التجريد اكثر منه فجاءت مدينته الفاضلة بعيدة عن الواقع ... اقرب الى السماء منها الى الارض لا بل هي نتيجة من نتائج فلسفته الكونية وراية في مراتب الموجودات » (٢٣) .

اما هنري كوربان فيقول : « مهما كانت المدينة الفاضلة فاضلة فانها لم تكن بذاتها ما قصد اليه الفارابي . ان هي الا وسيلة لهداية الناس الى طريق السعادة المطلقة . عندما تجتاز جماعات الاحياء اعتاب الموت عليها ان تنضم الى جماعات اولئك الذين سبقوها وتتحد روحيا بها ، كل يتحد بشبيهه . باتحاد الانفس هذا يتضاعف وينمو الى ما لا نهاية هناء الانفس الاولى ولطفها ، تلك التي ارتحلت عن هذه الدار قبل غيرها . نظرة مشابهة في هذا المجال نجدها عند الاسماعيلية ، وذلك في معرض كلامهم عن مصير الانسان وعلم المعاد ووصفهم لاتحاد الصور المنيرة Formes de Lumière لتؤلف هيكل الانوار الخاص بالامام » .

---

(٢٣) جميل صليبا ـ من افلاطون الى ابن سينا ـ ص٧٨و٧٩ .